

الرواية كون تخيلي متميز بعناصره التي لا تستقل عن بعضها منها " الشخصية"، " المكان"، و" الزمان"، " الرؤية"، و" اللغة"، وكلها تجمع الواقع والخيال، الحقيقة واللاحقيقة، الهدوء والفوضى، المعقول واللامعقول، التشضي والجمع.

هذه العناصر جذبت إليها كل الدراسات النقدية التي حاولت الوصول إليها بسبب تفرداها وتميزها، فتارة يُقال أن تفرداها قائم على الجمال الذي تمنحه للقارئ، وتارة أخرى يُقال أن تميزها قائم على شعرية مكوناتها، والسؤال الذي يطرح نفسه أين يكمن جمالها؟ هل في شخصية صادمة؟، أو في زمان متطلع إلى أفق المستقبل عبر أزمنة الماضي و الحاضر؟ أو في مكان متشطي؟، أو في رؤية مُتَحَفَّة بأجنحة الواقع؟، أو في لغة هاربة من الاستعمال العادي والمكرور؟، أم في كلها؟.

إن جمال الرواية فيما نعتقد قائم على تفرد كل عنصر ومكون من مكوناتها، لذلك جاءت هذه الدراسات لتستشف هذا الجمال عبر مدارس وبحوث ومقاربات، فتارة تقول: إن الجمال الأدبي يكمن خارج النص، وتارة أخرى تؤكد أن الجمال يكمن داخل النص، وبين هذا وذاك ظهرت نظرية السيميائيات السردية التي تسعى لدراسة عناصر هذا الكون التخيلي ومنها " الشخصية الروائية"، أقصد نظرية الناقد "فيليب هامون"؛ الذي حاول مقارنة "الشخصية الروائية" من وجهة نظر سيميائية، جمعت بداخلها كل جهود النقاد الذين تحدثوا عن هذا المكون بدءاً " ببروب" مروراً بـ "غريماس" وصولاً إلى "فيليب هامون".

هذا الأخير الذي إستقى من كل من سبقه وجهة نظره الخاصة للشخصية، فحاول دراستها ونقدها والإفادة منها، ثم استخرج لنا نموذجاً شبه متكامل للشخصية الروائية، يعتبر هذه الأخيرة علامة لغوية مركبة من عنصرين، هما المدلول والادال وأضاف إليهما عنصر "مستويات الوصف".

هذا العنصر جاء نتيجة لتفرد وتميز الشخصية عن العلامة اللغوية، وهو ناتج عن تجريب الشخصية التي لم تعد مجرد كائن إنساني له اسم وكنية وجسم وكيان، وإنما أصبحت كائناً ورقياً تخيلياً يجمع الصفات الإنسانية بالحيوانية، الخيال بالواقع، المعقول باللامعقول، الجمال بالقبح، الغريب بالعجيب، الحيرة بالدهشة، المألوف بالموحش.

هذا التجريب أدخل الرواية إلى عوالم السحر والجمال واللامنطق؛ عوالم الخرافة والأسطورة والخيال العلمي؛ أي العوالم العجائبية الخارقة بصفة عامة التي تمنح الشخصية ألقًا و الزمان تميزًا، والمكان تفرّدًا، واللغة تجاوزًا، والرؤية غموضًا. فالتجريب خاصية من خواص الرواية الجديدة التي اعتمدها إبراهيم درغوثي، وهذا عبر العجائبية التي تعد خصيصة من خصائصه، فمن خلالها حققت الرواية تميزها. إنها استفزاز للقارئ ودغدغة له عبر خليط من المشاهد المألوفة واللامألوفة، فينتج عن ذلك حيرة ودهشة، حزن وفرح.

هي خطوة نحو المجهول، وعودة منه بمعرفة جديدة وحلة فريدة، ورؤية مغايرة للواقع، فمن خلالها اكتسبت الرواية حلة جديدة متميزة عن الرواية التقليدية. هذا التجريب هو الذي أحالنا إلى اختيار موضوع هذا البحث الذي وسمناه بـ: "العجائبية في روايات إبراهيم درغوثي" ومنها بالخصوص رواية "القيامة... الآن"، ورواية "وراء السراب... قليلا" ورواية "مجرد لعبة حظ". والإشكالية المطروحة هي: إلى أي مدى يمكن اعتبار العجائبية خاصية متميزة لكتابات الدرغوثي؟، وما هي الإضافة التي تضيفها نظرية "فليب هامون" للشخصية العجائبية؟.

وعن هذه الإشكالية تولدت لدينا عدة أسئلة منها:

ما العجائبية؟ وما حدودها وتشكيلها؟ ما هي الأجناس المجاورة لها؟، وهل تشترك معها في مسار واحد، أم لكل جنس مداره الخاص به؟ هل هي - العجائبية - اختيار واعٍ أم غير واعٍ للأديب إبراهيم درغوثي؟ وما هي الرؤية المغايرة التي تضيفها لكتابات "إبراهيم درغوثي"؟ وما هي تمظهرات العجائبية في كتاباته؟ وهل تتناسب نظرية "فليب هامون" بمدلولات الشخصيات العجائبية مع روايات إبراهيم درغوثي؟ وهل هناك أوجه شبه بين شخصيات روايات إبراهيم درغوثي أم أن كل شخصية لها تشكيل خاص؟ وما هي معايير تحديد الشخصية العجائبية؟ وهل هناك تشابه بينهما وبين الأنواع الأخرى؟.

أما الأسباب التي دعت لاختيار هذا الموضوع فكانت جدة الموضوع وأهميته، فهي الداعي الأساس في اختيارنا لهذا الموضوع، بالإضافة إلى دواعٍ أخرى ذاتية وموضوعية منها:

- 1/ الرغبة في استكشاف عوالم أخرى للرواية.
- 2/ معرفة الإضافة التي ستمنحها العجائبية للرواية.
- 3/ ندرة الدراسات التي تناولتها.
- 4/ التعرف على الأدب التونسي الشقيق والانفتاح عليه لاحتواء روايات أدبائه على طابع مميز وخاص، لم نصادفه في كتابات الأدباء الآخرين.
- 5/ معرفة رؤية الأديب " إبراهيم درغوثي " للواقع وللكتابة وللإيديولوجيا وللرواية بصفة خاصة.
- 6/ إبراز القيم التي تزخر بها العجائبية ورواياته بصفة خاصة.

أما أهداف الدراسة منها التعريف بالعجائبية، إثراء المكتبة بموضوع نادر قلما تناوله الباحثون في الجزائر.

أما المنهج الذي اتبعته فهو نظرية " فيليب هامون " للشخصية الروائية. قسمت بحثي هذا إلى بابين:

الباب الأول وسمته بـ " الإطار المفاهيمي والتطبيقي للعجائبية " وتضمن فصلين الفصل الأول: درست فيه ماهية العجائبية لغة واصطلاحا وعرجت على تشكيل العجائبية ومداراتها بالإضافة إلى الأسباب التي تجعل الكاتب يلجأ إليها.

أما الفصل الثاني: فعالجت فيه الشخصية العجائبية في روايتي " وراء السراب ... قليلا " و" مجرد لعبة حظ ".

أما الباب الثاني: فقد عنوانته " سيميائية الشخصية العجائبية في كتابات الدرغوثي "، وفيه طبقت نظرية " فيليب هامون " على رواية " القيامة ... الآن ". وقسمته إلى فصلين، الأول أخذ عنوان " مدلول الشخصيات " أما الفصل الثاني فكان عنوانه " مستويات وصف ودال الشخصيات "؛ وفي آخر هذا الباب حاولنا إجراء جمع بين الشخصيات العجائبية وغير العجائبية في الروايات الثلاث: " القيامة ... الآن "، " وراء السراب ... قليلا "، " مجرد لعبة حظ "، وهذا لاستقراء مدى التقارب بين شخصيات رواياته،

بالرغم من اختلاف الموضوع والتقنيات السردية وأجواء كل رواية، لأن كل رواية لوحدها تمثل مشروعا متفردًا ومتميزًا.

وأخيرا ختمت بحثي هذا بخاتمة أجملت كل النتائج التي توصل إليها البحث.

لقد اعتمدت في بحثي هذا على عدة مصادر ومراجع أهمها الروايات الستة لإبراهيم درغوئي بالإضافة إلى كتابين في الموضوع وهما " شعرية الرواية الفانتاستيكية " لـ " شعيب حليفي" وكتاب " مدخل إلى الأدب العجائبي" المترجم من طرف "الصديق بوعلام"، "تزفتان تودوروف".

وفي نظرية "فيليب هامون" اعتمدت على كتابه المترجم " سميولوجية الشخصيات الروائية " من طرف "سعيد بنكراد" وكتاب "نبيلة زويش" "تحليل الخطاب السردى في ضوء المنهج السميائي".

أما الصعوبات التي واجهتني فكانت نتيجة لجدة الموضوع وهي ندرة المصادر والمراجع التي تحدثت عن الموضوع بصفة خاصة، وكذلك المراجع الخاصة بالمنهج فكان عسيرًا التحصل عليها في وقت قصير.

في الأخير وقبل أن أختتم هذه المقدمة لابد من تقديم واجب الاعتراف بالفضل إلى أستاذي المشرف "عبد الرحمان تيرماسين"، الذي كان نعم الأستاذ الناصح والموجه، وأشكره على صبره وعلى ما بذله من أجلي لمتابعة هذا البحث حتى خرج في هذه الحلة، ولا يسعني إلا أن أشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في مد يد العون لانجاز هذا البحث كل باسمه، متمنية أن أكون قد أسهمت في إمطة اللثام عن موضوع العجائبية في السرد المغاربي وإبراهيم درغوئي خصوصا.

والله نسأل التوفيق والسداد، وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.